الفصل السابع
الأرواح ومحالُّها بعد الموت

أولاً: محال الأرواح:

هناك مجموعة من الأقوال تبين محال الأرواح كما يلى:

روى أحمد فى مسنده وأبو داود فى سننه عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ولما أصيب إخوانكم (يعنى يوم أحد) جعل الله أرواحهم فى جوف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها، وتأوى إلى قناديل من ذهب مذللة فى ظل العرش، وفى رواية زيادة: وهم يقولون ربنا ألحق بنا إخواننا وآتنا ما وعدتنا. وفى لفظ آخر: فى حواصل طير خضر، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا أنا أحياء فى الجنة نرزق، لئلا يتكلوا عن الحرب ولا يزهدوا فى الجهاد. قال: فقال الله تعالى: (أنا أبلغهم عنكم)، فأنزل الله سبحانه، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ (آل عمران: ١٦٩).

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه مرفوعا: الشهداء يغدون ويروحون ثم يكون مأواهم إلى قناديل معلقة بالعرش، فيقول لهم الرب تبارك وتعالى: ((هل تعلمون كرامة أفضل من كرامة أكرمتموها؟ فيقولون: لا! غير أنا وددنا أنك أعدت أرواحنا فى أجسادنا حتى نقاتل فيك مرة أخرى، فنقتل فى سبيلك!

وقال الإمام أحمد فى رواية ابنه عبد الله: أرواح المؤمنين فى الجنة، وأرواح الكفار فى النار، وقالت طائفة من الصحابة والتابعين: أرواح المؤمنين عند الله، ولم يزيدوا على ذلك، وروى جماعة من الصحابة والتابعين: أرواح المؤمنين عند الله، ولم يزيدوا على ذلك. وروى جماعة من الصحابة والتابعين أن أرواح المؤمنين بالجابية، وأرواح الكفار ببرهوت، وهو بئر بحضرموت اليمن. وقال بعضهم هى فى الأرض التى قال الله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ (الأنبياء، ١٠٥).

وقال كعب الأحبار: أرواح المؤمنين فى عليين فى السماء السابعة، وأرواح الكفار فى سجين فى الأرض السابعة.

وقالت طائفة من العلماء: أرواح المؤمنين ببئر زمزم وأرواح الكفار ببئر هوت.

وقال سلمان الفارسى: أرواح المؤمنين فى برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت وأرواح الكفار فى سجين، وقال جماعة أخرى: أرواح المؤمنين عن يمين آدم عليه السلام وأرواح الكفار عن شماله.

وذهبت طائفة من العلماء، منهم ابن حزم، أن مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها أى عن يمين آدم وشماله. قال: وهذا ما دل عليه الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ (الأعراف: ١١). وأفصح أن الله خلق الأرواح جملة.

وكذلك أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف، وفى رواية أن: الأرواح فى الهوى جنود مجندة تلتقى فتشاءم، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف، وفى رواية أخرى أن: الأرواح جنود مجندة تتلاقى تشاءم كما تشاءم الخيل، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف، وأخذ الله عهدها وميثاقها وشهادتها له بالربوبية وهى مخلوقة مصورة عاقلة قبل أن تؤمر الملائكة بالسجود لآدم، وقبل أن يدخلها فى الأجساد، والأجساد يومئذ تراب وماء، ثم أقرها حيث شاء، وهو البرزخ الذى ترجع إليه عند الموت، ثم لا يزال يبعث منها الجملة بعد الجملة فينفخها فى الأجساد المتولدة من المنى، قال: فصح أن الأرواح أجسام حاملة لأعراضها من التعارف والتناكر، وأنها عارفة مميزة، فيبلوهم الله فى الدنيا كما يشاء ثم يتوفاها فترجع إلى البرزخ الذى رآها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء عندما عرج إلى السماء الدنيا، أرواح أهل السعادة عن يمين آدم عليه السلام وأرواح أهل الشقاوة عن يساره عند منقطع العناصر الأربعة تحت السماء، ولا يدل ذلك على تعادله، بل هؤلاء عن يمينه فى العلو والسعة، وهؤلاء عن يساره فى السفل والسجن، ويعجل أرواح الأنبياء والشهداء إلى الجنة.

وقد ذكر محمد بن نصر المروزى عن إسحاق بن راهويه ما ذكره ابن حزم بعينه. وعلى هذا أجمع أهل العلم. قال ابن حزم: وهو قول جميع أهل الإسلام، وهو قول الله ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾ (الواقعة: ٨ – ١٢). وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾﴾ (الآية)، فلا تزال الأرواح هناك حتى يتم عددها بنفخها فى الأجسام ثم برجوعها إلى البرزخ، فتقوم الساعة

فيعيدها الله عز وجل إلى الأجسام وهى الحياة الثانية، ويحاسب الخلق، فريق فى الجنة وفريق فى السعير مخلدين أبدًا.

وقال أبو عمر بن عبد البر: أرواح الشهداء فى الجنة، وأرواح عامة المؤمنين على أفنية قبورهم، وقال ابن المبارك عن ابن جريج عن مجاهد: ليس هى فى الجنة ولكن يأكلون من ثمارها ويجدون ريحها.

ثانيًا: الأقوال الباطلة:

قالت فرقة: إن مستقر الروح هو العدم المحض، ورد بعض العلماء على ذلك بأن هذا قول باطل؛ لأنه قول من يقول: إن النفس عرض من أعراض البدن، فتعدم بموت البدن، وهو مخالف للنصوص الصريحة والإجماع.

وقالت فرقة أخرى: مستقرها بعد الموت أبدان أخر تناسب أخلاقها وصفاتها التى اكتسبتها فى حال حياتها، فتصير كل روح إلى بدن حيوان يشاكل تلك الروح. وهو قول باطل لأنه قول بالتناسخ الخارج عن أقوال أهل الإسلام، المستلزم لعدم المعاد، وهو كفر صريح.

ثالثًا: أحوال أهل القبور:

قال الإمام الغزالى: وأما أهل القبور فعلى أربعة أحوال: فمنهم القاعد على منكبيه حتى تنتشر العين وتورم الجثة ويعود الجسم ترابا، ثم لا يزال بعد ذلك طوَّافًا فى الملكوت دون سماء الدنيا، ومنهم من يرسل الله عليه نعسة فلا يدرى ما فعل به حتى ينتبه مع النفخة الأولى، ومنهم من لا يقيم على قبره إلا شهرين أو ثلاثة ثم تركب نفسه على طير يهوى به فى الجنة، حيث قال عليه الصلاة والسلام: (نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة)، وكذلك سئل عن أرواح الشهداء فقال: (أرواح فى حواصل طير خضر تعلق بهم فى شجر الجنة)، ومنهم من إذا بادت عينه، عرج به إلى الصور فلا يزال لازمًا له حتى ينفخ فى الصور.

والنوع الرابع: خص به الأنبياء والأولياء ولهم الخيار، فمنهم من اختار الأرض ليكون طوافًا حتى تقوم الساعة، فكثيرًا ما يُرَى فى النوم، وأظن الصديق والفاروق منهم، والرسول عليه الصلاة والسلام له الخيار فى طواف العوالم الثلاثة، ومنهم من اختار السماء السابعة كإبراهيم عليه السلام، وفى الحديث أنه عليه الصلاة والسلام مر به وهو مسند ظهره إلى البيت المعمور، وقد أحدق به أولاد المسلمين، وفى كل سماء رسل وأنبياء لا يخرجون منها ولا يبرحون حتى الصاعقة، وليس منهم من له الخيار إلا الخمسة: الخليل والكليم والروح والصفى والحبيب، هؤلاء ينتهون

حيث أرادوا من العالمين، وأما الأولياء فمنهم من وقف على البيعة الدنيوية، كما روى عن أبى يزيد أنه تحت العرش يأكل من مائدة.

وعلى هذا الأنواع الأربعة حال أهل القبور، يعذبون ويرحمون ويهانون ويكرمون.

وسئل الإمام الغزالى عن الروح وحقيقته، وهل هو حال فى البدن حلول الماء فى الإناء، أو حلول العرض فى الجوهر، أم هو جوهر قائم بنفسه؟ فإن كان جوهرا قائمًا بنفسه فمتحيز هو أم غير متحيز؟ وإن كان متحيزًا فما كان مكانه أهو القلب أو الدماغ أو موضع آخر؟ وإن لم يكن متحيزًا فكيف يكون جوهرًا غير متحيز؟[1].

فقال: هذا سؤال عن سر الروح الذى لم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى كشفه لمن ليس أهلًا له، فإن كنت من أهله فاسمع واعلم أن الروح ليس بجسم يحل البدن حلول الماء فى الإناء، ولا هو عرض يحل القلب والدماغ حلول السواد فى الأسود، والعلم فى العلم، بل هو جوهر وليس بعرض؛ لأنه يعرف نفسه وخالقه ويدرك المعقولات وهذه علوم والعلوم أعراض ولو كان موضوعًا والعلم قائم به لكان قيام العرض بالعرض وهذا خلاف المعقول، ولأن العرض الواحد لا يفيد إلا واحدًا فيما قام به والروح يفيد حكمين متغايرين، فإنه حينما يعرف خالقه يعرف نفسه فدل على أن الروح ليس بعرض والعرض لا يتصف بهذه الصفات ولا هو جسم، لأن الجسم قابل للقسمة والروح لا ينقسم؛ لأنه لو انقسم لجاز أن يقوم بجزء منه علم بالشىء الواحد وبالجزء الآخر منه جهل بذلك الشىء الواحد بعينه فيكون فى حالة واحدة عالما بالشىء جاهلا به فيتناقض؛ لأنه فى محل واحد وإلا فالسواد والبياض فى جزأين من العين غير متناقض، والعلم والجهل بشىء واحد فى شخص واحد محال وفى شخصين غير محال، فدل على أنه واحد وهو باتفاق العقلاء جزء لا يتجزأ أى شىء لا ينقسم إذ لفظ جزء غير لائق به، لأن الجزء إضافة إلى الكل ولا كل هنا فلا جزء إلا أن يراد به ما يريد القائل بها قوام العشرة فى كونها عشرة كان الواحد من جملتها، وكذلك إذا أخذت جميع الموجودات أو جميع ما به قوام الإنسان فى كونه إنسانًا كان الروح واحدًا من جملتها، فإذا فهمت أنه شىء لا ينقسم لا يخلو إما أن يكون متحيزًا أو غير متحيز، وباطل أن يكون متحيزًا إذ كل متحيز منقسم والجزء الذى لا يتجزأ باطل أن يكون منقسمًا بأدلة هندسية وعقلية أقربها أنه لو فرض جوهر بين جوهرين لكان كل واحد من الطرفين يلقى من الوسط غير ما يلقى الآخر، فيجوز أن يقوم بالوجه الذى يلقاه هذا الطرف علم وبالوجه الآخر جهل، فيكون عالمًا جاهلًا فى حالة واحدة بشىء واحد وكيف لا ولو فرض بسيط

---

(١) انظر، المضنون به على غير أهله، ٦٩ – ١٧٦، طبعة بيروت، ١٩٨٦.

مسطح من أجزاء لا تتجزأ لكان الوجه الذى يحاذينا ونراه غير الوجه الآخر الذى لا نراه فإن الواحد لا يكون مرئيًا وغير مرئى فى حاثة واحدة، ولكانت الشمس إذ حازت أحد وجهيه استنار بها ذلك الوجه دون الوجه الآخر، فإذا ثبت أنه لا ينقسم وأنه لا يتجزأ ثبت أنه قائم بنفسه وغير متحيز أصلا.

قيل له: وما حقيقة هذه الحقيقة، وما صفة هذا الجوهر، وما وجه تعلقه بالبدن؟ أهو داخل فيه أو خارج عنه أو متصل به أو منفصل عنه؟

قال رضى الله عنه: لا هو داخل ولا هو خارج ولا هو منفصل ولا متصل؛ لأن مصحح الاتصال بالاتصال والانفصال الجسمية والتحيز قد انتفيا عنه فانفك عن الضدين، كما أن الجماد لا هو عالم ولا هو جاهل؛ لأن مصحح العلم والجهل الحياة، فإذا انتفت انتفى الضدان.

فقيل له: هل هو فى جهة؟

فقال: هو منزه عن الحلول فى المحال والاتصال بالأجسام والاختصاص بالجهات، فإن كل ذلك صفات الأجسام وأعراضها والروح ليس بجسم ولا عرض فى جسم، بل هو مقدس عن هذه العوارض.

فقيل له: لم منع الرسول صلى الله عليه وسلم عن إفشاء هذا السر وكشف حقيقة الروح بقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾[1].

فقال: لأن الأفهام لا تحتمله لأن الناس قسمان عوام وخواص، أما من غلب على طبعه العامية فهذا لا يقبله ولا يصدقه فى صفات الله تعالى فكيف يصدقه فى حق الروح الإنسانية، ولهذا أنكرت الكرامية والحنبلية ومن كانت العامية أغلب عليه ذلك وجعلوا الإله جسمًا إذ لم يعقلوا موجودًا إلا جسمًا مشارًا إليه، ومن ترقى عن العامية قليلًا نفى الجسمية وما أطاق أن ينفى عوارض الجسمية فأثبت الجهة وقد ترقى عن هذه العامية الأشعرية والمعتزلة، فأثبتوا موجودًا لا فى جهة.

فقيل له: ولم لا يجوز كشف هذا السر مع هؤلاء؟

فقال: لأنهم أحالوا أن تكون هذه الصفات لغير الله تعالى، فإذا ذكرت هذا لبعضهم كفروك، وقالوا: إنك تصف نفسك بما هو صفة الإله على الخصوص، فكأنك تدعى الإلهية لنفسك.

---

(١) سورة الإسراء الآية: ٨٥.

فقيل له: فلم أحالوا أن تكون هذه الصفة لله ولغير الله تعالى أيضًا؟

فقال: لأنهم قالوا كما يستحيل فى ذوات المكان أن يجتمع اثنان فى مكان واحد يستحيل أيضًا أن يجتمع اثنان لا فى مكان، لأنه إنما استحال اجتماع جسمين فى مكان واحد، لأنه لو اجتمعا لم يتميز أحدهما عن الآخر، فكذلك لو وجد اثنان كل واحد منهما ليس فى مكان، فبم يحصل التمييز والعرفان؟ ولهذا أيضًا قالوا: لا يجتمع سوادان فى محل واحد حتى قيل المثلان يتضادان.

فقيل: هذا إشكال قوى فما جوابه؟

قال: جوابه أنهم أخطأوا حيث ظنوا أن التمييز لا يحصل إلا بالمكان بل يحصل التمييز بثلاثة أمور: أحدها: بالمكان كجسمين فى مكانين، والثانى: بالزمان كسوادين فى جوهر واحد فى زمانين، والثالث: بالحد والحقيقة كالأعراض المختلفة فى محل واحد مثل اللون والطعم والبرودة والرطوبة فى جسم واحد، فإن المحل واحد والزمان واحد، ولكن هذه معان مختلفة الذوات بحدودها وحقائقها، فيتميز اللون عن الطعم بذاته لا بمكان وزمان، ويتميز العلم عن القدرة والإرادة بذاته وإن كان الجميع شيئًا واحدًا، فإذا تصور أعراض مختلفة الحقائق فبأن يتصور أشياء مختلفة الحقائق بذواتها فى غير مكان أولى.

فقيل: هنا دليل آخر على إحالة ما ذكرتموه أظهر من طالب التفرقة، وهو أن هذا تشبيه وإثبات لأخص وصف الله تعالى فى حق الروح.

فقال: هيهات، فإن قولنا الإنسان حى عالم قادر سميع بصير متكلم، وأنه تعالى كذلك ليس فيه تشبيه؛ لأنه ليس ذلك أخص الوصف، فكذلك البراءة عن المكان والجهة ليس أخص وصف الإله، بل أخص وصفه أنه قيوم أى هو قائم بذاته، وكل ما سواه قائم به، وأنه موجود بذاته لا بغيره فكل ما سواه موجود به لا بذاته، بل ليس للأشياء من ذواتها إلا العدم، وإنما لها الوجود من غيرها على سبيل العارية، والوجود لله تعالى ذاتى ليس بمستعار، وهذه الحقيقة أعنى القيومية ليست إلا لله تعالى.

فقيل له: ذكرت معنى التسوية والنفخ والروح ولم تذكر معنى النسبة فى الروح، وأنه لم قال: (من روحى)، ولم نسبه إلى نفسه، فإن كان لأن وجوده به فجميع الأشياء أيضا كذلك وقد نسب البشر إلى الطين، فقال: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [1] ثم قال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [2]. وإن كان معناه أنه جزء من الله تعالى فاض على القلب كما يفيض المال على السائل،

---

(١) سورة ص الآية: ٧١.

(٢) سورة ص الآية: ٧٢.

فيقول: أفضت عليه من مالى فهذه تجزئة لذات الله، وقد أبطلتم هذا وذكرتم أن إفاضته ليست بمعنى انفصال جزء منه.

فقال: هذا كقول الشمس لم نطقت وقالت أفضت على الأرض من نورى، فيكون صدقا، ويكون معنى النسبة أن النور الحاصل من جنس نور الشمس بوجه من الوجوه، وإن كان فى غاية الضعف الإضافة إلى نور الشمس، وقد عرفت أن الروح منزه عن الجهة والمكان وفى قوته العلم بجميع الأشياء والاطلاع عليها، وهذه مضاهاة ومناسبة، فلذلك خص بالإضافة هذه المضاهاة ليست للجسمانيات أصلًا.

فقيل له: ما معنى قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾[1]. وما معنى عالم الأمر وعالم الخلق؟

فقال: كل ما يقع عليه مساحة وتقدير وهو عالم الأجسام وعوارضها يقال: إنه من عالم الخلق، والخلق هنا بمعنى التقدير لا بمعنى الإيجاد والأحداث، يقال: خلق الشىء أى قدرة قال الشاعر:

ولأنت تفرى ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفرى

أى تقدر ثم تقطع الأديم وما لا كمية له ولا تقدير، فيقال: إنه أمر ربانى وذلك للمضاهاة التى ذكرناها وكل ما هو من هذا الجنس من أرواح البشر وأرواح الملائكة يقال: إنه من عالم الأمر، فعالم الأمر عبارة عن الموجودات الخارجة عن الحس والخيال والجهة والمكان والتحيز، وهو ما لا يدخل تحت المساحة والتقدير لانتفاء الكمية عنه.

فقيل له: أتتوهم أن الروح ليس مخلوقًا وإن كان كذلك فهو قديم؟

فقال: قد توهم هذا جماعة وهو جهل، بل نقول: إن الروح غير مخلوق بمعنى أنه غير مقدر بكمية ولا مساحة، فإنه لا ينقسم ولا يتحيز ونقول إنه مخلوق، لكنه بمعنى أنه حادث وليس بقديم، وبرهان حدوثه طويل ومقدماته كثيرة، ولكن الحق أن الروح البشرية حدثت عند استعداد النطفة للقبول كما حدثت الصورة فى المرآة بحدوث الصقالة، وإن كانت الصورة سابقة الوجود على الصقالة، وإيجاد هذا البرهان أنه إن كانت الأرواح موجودة قبل الأبدان لعامنا ضرورة بأن ما يعلمه زيد يجوز أن يجهله عمر، ولو كان الجوهر العاقل منهما واحدًا لاستحال اجتماع المتضادين فيه، كما يستحيل فى زيد وحده، ونعنى بالجوهر العاقل الروح ومحال كثرتها؛

---

(١) سورة الإسراء الآية: ٨٥.

لأن الواحد محال ألا يثنى ولا ينقسم إذا كان ذا مقدار كالأجسام، فالجسم ينقسم، فإنه ذو مقدار وذو بعض فيتبعض، أما ما ليس له بعض ولا مقدار فكيف ينقسم، وأما تقدير كثرتهم قبل التعلق بالبدن فمحال؛ لأنها إما أن تكون متماثلة أو مختلفة، وكل ذلك محال، وإنما استحال التماثل؛ لأن وجود المثلين محال؛ فى الأصل، ولهذا يستحيل وجود سوادين فى محل، وجسمين فى مكان واحد لأن الاثنين يستدعى مغايرة ولا مغايرة هنا وسوادان فى محلين جائز، لأن هذا يفارق ذلك فى المحل إذا اختص بمحل لا يختص به الآخر، وكذلك يجوز محل واحد فى زمانين إذ لهذا وصف ليس للآخر وهو الاقتران بهذا الزمان الخاص، فليس فى الوجود مثلان مطلقًا، بل بالإضافة كقولنا: زيد وعمرو هما مثلان فى الإنسانية والجسمية وسواد الحبر والغراب مثلان فى السوادية، ومحال تغايرهما؛ لأن التغاير نوعان: أحدهما: باختلاف النوع والماهية كتغاير الماء والنار، وتغاير السواد والبياض، والثانى: بالعوارض التى لا تدخل فى الماهية كتغاير الماء الحار والماء البارد، فإن كان تغاير الأرواح البشرية بالنوع والماهية فمحال؛ لأن الأرواح البشرية متفقة بالحد والحقيقة وهى نوع واحد، وإن كانت متغايرة بالعوارض فمحال أيضًا؛ لأن الحقيقة الواحدة إنما يتغير عوارضها إذا كانت متعلقة بالأجسام منسوبة إليها بنوع ما إذ الاختلاف فى أجزاء الجسم ضرورة ولو فى القرب من السماء والبعد عنها مثلًا، أما إذا لم يكن كذلك كان الاختلاف محالًا، وهذا ربما يحتاجون فى تحقيقه إلى مزيد من تقديرٍ لكن هذا القدر ينبه عليه.

فقيل له: كيف يكون حال الأرواح بعد مفارقة الأجسام ولا تعلق لها بالأجسام، فكيف تكثرت وتغايرت؟

فقال: لأنها اكتسبت بعد التعلق بالأبدان أوصافًا مختلفة من العلم والجهل والصفاء والكدورة وحسن الأخلاق وقبحها فبقيت منها متغيرة فعلقت كثرتها بخلاف ما قبل الأجساد، فإنه لا سبب لتغايرها.

وقال النسفى فى بحر الكلام: الأرواح على أربعة أوجه: أرواح الأنبياء تخرج من أجسادها وتصير مثل صورتها من المسك والكافور، وتكون فى الجنة تأكل وتشرب وتتنعم وتأوى بالليل إلى قناديل معلقة تحت العرش. وأرواح الشهداء تخرج من أجسادها وتكون فى أجواف طير خضر فى الجنة تأكل وتتنعم وتأوى بالليل إلى قناديل معلقة تحت العرش. وأرواح المطيعين من المؤمنين برَبَض الجنة، لا تأكل ولا تتمتع، ولكن تنظر فى الجنة.

وأرواح العصاة من المؤمنين تكون بين السماء والأرض فى الهواء، وأما أرواح الكفار فهى فى سجين فى جوف طير سود تحت الأرض السابعة، وهى متصلة بأجسادها تتعذب الأرواح وتتألم الأجساد منه كالشمس فى السماء ونورها فى الأرض.

وعن أنس رضى الله عنه قال: ((جاءت أم حارثة إلى النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر وابنها قد أصابه سهم غَرِب، فقالت: يا رسول الله فإن كان حارثة فى الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت فى البكاء! فقال: (يا أم حارثة، إنها جنان وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى) وقوله: سهم غرب، يروى بالإضافة وتركها، وهو الذى لا يدرى من رماه.

وفى صحيح مسلم: فاطلع ربك على أصلاعه فقال: هل تشتهون شيئًا؟ قالوا: وأى شىء نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا! ففعل بهم ذلك ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لم يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا ربنا نريد أن ترد أرواحنا فى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى! فلما رأى أن ليس لهم حاجة، تركوا.

هيئات الأرواح وأشكالها:

١- منها ما هو فى حواصل طير خضر:

ورد فى صحيح البخارى، قال ابن عباس رضى الله عنه: أرواح الشهداء تجول فى أجواف طير خضر تعلق فى ثمر الجنة.

وفى السنن الأربعة ومسند أحمد: أن أرواح الشهداء فى طير خضر تعلَق من ثمر الجنة أو شجر الجنة، قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح. وتعلق بضم اللام تأكل، ويروى بالفتح وهو الأكثر، ومعناه تسرح.

٢- ومنها ما هو فى صورة طير خضر.

قال ابن شهاب: بلغنى أن أرواح الشهداء كطير خضر معلقة بالعرش تغدو ثم تروح إلى رياض الجنة، تأتى ربها كل يوم تسلم عليه.

وسئل أبو الدرداء عن أرواح الشهداء فقال: هى طير خضر فى قناديل معلقة تحت العرش تسرح فى رياض الجنة حيث شاءت.

٣- ومنها ما هو فى صورة طير بيض:

عن عكرمة أنه قال فى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾ (البقرة: ١٥٤): أرواح الشهداء طير بيض فقاقيع فى الجنة، قال فى القاموس: فِقِّيع كسِكِّيت، الأبيض من الحمام.

وعن قتادة قال: بلغنا أن أرواح الشهداء فى صور طير بيض فى ظل تحت العرش، وكذلك قال عبد الله بن عمرو بن العاص.

٤- ومنها ما هو فى حواصل طير بيض:

عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: يبعث الله الشهداء من حواصل طير بيض

كانوا فى قناديل معلقة بالعرش، وفى الروايات: وأن تلك الطير تسرح فى الجنة فتأكل من أثمارها وتشرب من أنهارها، ثم تأوى إلى قناديل تحت العرش، هى لها كالأوكار للطير.

٥ - ومنها ما هو على بارق نهر بباب الجنة:

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية). قال بعض العلماء: وذلك إذا حبسهم عنها دين أو شىء من حقوق الآدميين.

وفى المسند عن محمد بن عبد الله بن جحش أن رجلًا جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، مالى إن قتلت فى سبيل الله؟ قال: الجنة، فلما ولى قال: الدَّيْنُ سارنى به جبريل آنفًا.

٦ - ومنها ما هو طائر يعلق بشجر الجنة:

حدث كعب بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((نسمة المؤمن طائر يعلق بشجر الجنة حتى يرجعه الله جسده)). وصححه بعض المحدثين. وقيل: هو مخصوص بالشهداء، وقيل: هو عام فيهم وفى غيرهم من المؤمنين.

وفى بعض الروايات تكون النسم طيرًا يعلق بالشجر حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس فى جسدها.

٧ - ومنها ما هو فى قناديل من ياقوت وزبرجد فى الجنة:

عن إسماعيل بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه قال: أردت مالى بالغابة، فأدركنى الليل فأويت إلى قبر عبد الله بن عمرو بن حزام، فسمعت قراءة من القبر ما سمعت أحسن منها، فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له، فقال: ذاك عبد الله! ألم تعلم أن الله قبض أرواحهم فجعلها فى قناديل من زبرجد وياقوت ثم علقها وسط الجنة، فإذا كان الليل ردت إليهم أرواحهم، فلا تزال كذلك حتى إذا طلع الفجر ردت أرواحهم إلى مكانها الذى كانت به.

٨ - ومنها ما هو فى السماء السابعة فى الدار البيضاء:

أخرج أبو نعيم فى الحلية عن وهب بن منبه قال: إن لله فى السماء السابعة دارًا يقال لها أيضا البيضاء تجتمع فيها أرواح المؤمنين، فإذا مات الميت من أهل الدنيا تلقته الأرواح يسألونه عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب أهله إذا قدم عليهم.

٩ - ومنها ما هو فى برزخ من الأرض:

أخرج جماعة من الأئمة عن سعيد بن المسيب عن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال: إن أرواح المؤمنين فى برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت، والكافرين فى سجين، قال بعض

العلماء: البرزخ هو الحاجز بين الشيئين، فكأنه أراد فى أرض بين الدنيا والآخرة، وفى رواية عنه: فى برزخ من الأرض حيث شاءت بين السماء والأرض.

وعن مالك بن أنس رضى الله عنه قال: بلغنى أن أرواح المؤمنين مرسلة تذهب حيث شاءت. قال بعض العلماء: وهذا قول قوى، فإنها قد فارقت الدنيا ولم تلج الآخرة، بل هى فى برزخ بينهما، فأرواح المؤمنين فى برزخ واسع فيه الروح والريحان والنعيم، وأرواح الكافرين فى برزخ ضيق فيه الغم والعذاب. قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠٠).

١٠ - ومنها ما هو بالجابية[١]:

روى جماعة عن عبد الله بن عمرو قال: أرواح الكفار تجمع ببئر هوت[٢] سبخة بحضر موت، وأرواح المؤمنين تجمع بالجابية، وبئر هوت باليمن، والجابية بالشام، وعن عروة قال: الجابية يجىء إليها كل روح طيب.

١١ - ومنها ما هو فى بئر زمزم:

أخرج ابن أبى الدنيا عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: أرواح المؤمنين فى بئر زمزم. وكذا قاله جماعة من العلماء أنها بزمزم. وقال البعض الآخر: وليس بصحيح، فإن تلك البئر لا تتسع لأرواح المؤمنين جميعهم، وهو مخالف لما ثبت فى السنة الصحيحة الصريحة من أن نسمة المؤمن طائر تعلق فى شجر الجنة. قال: وبالجملة فهذا من أبطل الأقوال وأفسدها، وهو أفسد من قول من قال: إنها بالجابية، فإن ذلك مكان متسع فضاء بخلاف البئر الضيقة.

١٢ - ومنها ما هو بأريحا:

روى عن كعب الأحبار رضى الله عنه أنه أرسل إلى عبد الله بن عمرو يسأله عن أرواح

---

(١) الجابية: قرية من قرى دمشق، بها تل يسمى تل الجابية. وبها حيات صغار نحو الشبر كثيرة النكاية يسمونها أم الصويت؛ لأنها إذا لدغت نهشت صوَّت اللديغ صوتًا خفيفًا ومات لوقته. وروى عن ابن عباس أنه قال: أرواح المؤمنين بالجابية بأرض الشام وأرواح الكفار ببئر هوت بأرض حضرموت. (القزوينى) أثار البلاد وأخبار العباد. ص١١٧.

(٢) بئر هوت: فى حضرموت، وهى التى قال عليه الصلاة والسلام إن فيها أرواح الكفار والمنافقين، وهى بئر عادية قديمة من فلاة وواد مظلم، وعن على كرم الله وجهه قال: أبغض البقاع إلى الله تعالى وادى برهوت بحضرموت، فيه بئر ماؤها أسود منتن تأوى إليه أرواح الكفار. وذكر الأصمعى عن رجل حضرمى أنه قال: إنا نجد من ناحية برهوت رائحة منتنة فظيعة جدًّا. فيأتينا الخبر أن عظيمًا من عظماء الكفار مات. وحكى رجل أنه بات ليلة بوادى برهوت قال: فكنت أسمع طول الليل يا دومة يا دومة، فذكرت ذلك لبعض أهل العلم فقال: إن الملك الموكل بأرواح الكفار اسمه دومة. (القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد ص٢٥).

المسلمين أين تجتمع، وأرواح أهل الشرك أين تجتمع، فقال عبد الله بن عمرو: أما أرواح المسلمين فتجتمع بأريحا، وأما أرواح أهل الشرك فتجتمع بصنعاء. فرجع رسول كعب إليه فأخبره الذى قال، فقال: صدق عبد الله!.

وأريحا مدينة بقرب بيت المقدس من أعمال الأردن بالغور ذات نخل وموز وسكر كثير. وهى قرية الجبارين التى أمر الله تعالى موسى بدخولها، فقال موسى لبنى إسرائيل: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾؛ يعنى أرض الشام، فخرج موسى من مصر بستمائة ألف مقاتل عازمًا الشام، فلما وصلوا إلى البرية التى بين مصر والشام، بعث موسى اثنى عشر نقيبًا من كل سبط واحدًا رسولًا إلى الجبارين ليعرفوا حالهم، فلما اقتربوا من أريحا تلقاهم رجل من العماليق سألهم عن حالهم، فقالوا: إنا رسل موسى رسول الله إليكم، فجعلهم فى كمه كما يجعل أحدنا فى كمه العصافير، وذهب بهم إلى ملك العمالقة ونفضهم بين يديه، وقال: هؤلاء الذين يريدون قتالنا! أتأذن لى أن أطأهم بقدمى أفسخهم؟ فقال الملك: لا! اتركهم حتى يرجعوا إلى قومهم يعرفونهم حالنا وقوتنا وضعفهم! فرجع النقباء وذكروا للقوم ما شاهدوا وامتنع القوم عن دخول الشام، وقالوا: إن فيها قومًا جبارين! وكان من النقباء يوشع بن نون ابن عم موسى وكالب بن يوفنا زوج أخت موسى، قالا: يا قوم! ادخلوا عليهم الباب، فإذا دخلتموه فإنكم غالبون.

وجد موسى وجدًا كبيرًا فقالوا: إنا لن ندخلها أبدًا ماداموا فيها، ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾. فحبسهم الله تعالى فى التيه أربعين سنة، فماتوا كلهم سوى يوشع وكالب، وأوحى الله تعالى إلى يوشع، فدخل الشام بأولاد الممتنعين وفتحها فأمرهم الله تعالى أن يدخلوا مدينة أريحا سُجدًا لله تعالى شكرًا، قائلين: حطة، أى سؤالنا حط ذنوبنا، فكانوا يدخلونها على استاهم قائلين حنطة، فسخط الله تعالى عليهم ورماهم بالطواعين، فهلك منهم آلاف مؤلفة، وذلك قوله تعالى: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ (البقرة: ٥٩). ولكن أريحا بالنسبة لنا هى المدينة التى تجتمع بها أرواح المسلمين بعد الموت كما روى عن كعب الأحبار.

١٣ - ومنها ما هو على أفنية القبور:

قال ابن عبد البر: إن الأرواح على أفنية قبورها لقوله عليه الصلاة والسلام: إن أحدكم إذا مات عرض على مقعده بالغداة والعشى، فإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من

أهل النار فمن أهل النار، يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله إلى يوم القيامة. ثم قال: وأحاديث السؤال وعرض المقعد وعذاب القبر ونعيمه وزيارة القبور والسلام عليها، وخطابهم مخاطبة الحاضر العاقل دالة على ذلك.

وعلى هذا القول جماعة منهم ابن وضاح، وحكاه ابن حزم عن عامة أهل الحديث، لكن بعضهم نقل عن ابن عبد البر تخصيص ذلك بغير الشهداء، وقال: إن الشهداء فى الجنة، لكن بعضهم نقل عن ابن عبد البر تخصيص ذلك بغير الشهداء، وقال: إن الشهداء فى الجنة. قال بعض المحققين: لا دليل فى ذلك على أن الأرواح ليست فى الجنة، فإن العرض على الجسد وللروح به اتصال، والروح وحدها فى الجنة، وكذلك السلام على أهل القبور لا يدل على استقرار أرواحهم فى الأفنية، فإنه يسلم على قبور الأنبياء والشهداء وأرواحهم فى أعلى عليين، ولكن لها مع ذلك اتصال سريع بالجسد، ولا يعلم كنه ذلك وكيفيته إلا الله سبحانه وتعالى. ويشهد لذلك الأحاديث المروية فى أن النائم يعرج بروحه إلى العرش، هذا مع تعلقها ببدنه وسرعة عودها إليه عند استيقاظه، فأرواح الموتى المتجردة عن أبدانهم أولى بعروجها إلى السماء وعودها إلى القبر فى مثل تلك السرعة.

والحاصل أن للروح آخر، فتكون عند الرفيق الأعلى وهى متصلة بالبدن بحيث إذا سلم المسلم على صاحبها، رد عليه السلام وهى فى مكانها هناك، وإنما يغلط بعض الناس فى هذا الموضع حيث يعتقد أن الروح من جنس ما يعهد من الأجسام التى إذا ما شغلت مكانًا لم يمكن أن تكون فى غيره.

وهذا غلط محض، بل الروح تكون فوق السماوات فى أعلى عليين، وترد إلى القبر فترد السلام، وتعلم بالمسلم وهى فى مكانها هناك. قال ابن عبد البر: والقول بأن هذا أمر لازم لا تفارق أفنية القبور أبدًا خطأ ترده نصوص الكتاب والسنة من وجوه كثيرة. وقال أيضًا: إن المعنى عندى أنها قد تكون على أفنية قبورها لا على تلزم ولا تفارق أفنية القبور، بل هى كما قال مالك رضى الله عنه: أنه بلغنا أن الأرواح تسرح حيث شاءت. ثم أضاف: وعن مجاهد أنه قال: الأرواح على أنها أفنية القبور سبعة أيام من يوم دفن الميت، لا تفارق ذلك، والله أعلم.

١٤ - ومنها ما محبوس فى قبره:

أخرج الترمذى وابن ماجه والبيهقى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله : ((نفس المؤمن معلقة بدَيْنه حتى يقضى عنه)). قال العلماء: معلقة؛ أى: محبوسة عن مقامها الكريم.

وأخرج الطبرانى عن أنس رضى الله عنه قال: كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم، فأتى برجل يصلى عليه فقال: هل على صاحبكم دين؟ قالوا: نعم. قال: ينفعكم أن أصلى على رجل روحه مرتهن فى قبره لا تصعد روحه إلى السماء، فلو ضمن رجل دينه قمت فصليت عليه، فإن صلاتى تنفعه.

وكحديث صاحب الشَّمْلة التى غلها من الغنيمة أنها تشتعل عليه نارًا فى قبره. وقال ابن أبى العز: بحديث الجريدة يستدل على أن الأرواح فى القبور تنعم أو تعذب.

١٥ - ومنها ما هو فى الجنة:

روى البخارى عن أنس رضى الله عنه أن حارثة لما قتل قالت أمه: يا رسول الله قد علمت منزلة حارثة فإن يكن فى الجنة أصبر، وإن كان فى غيرها ترى ما أصنع؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنها جنات كثيرة، وإنه فى الفردوس الأعلى)).

وقالت أم بشر بن البراء: يا رسول الله، هل يتعارف الموتى؟ قال: تربت يداك. النفس الطيبة طير خضر فى الجنة، وإن الطير يتعارفون فى رءوس الشجر، وإنهم يتعارفون.

وأخرج الطبرانى وغيره أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن أرواح المؤمنين. فقال: فى طير خضر تسرح من الجنة حيث شاءت. وذهب الإمام أحمد إلى ذلك، وخصه بعضهم بالشهداء.

١٦ - ومنها ما هو فى نهر الدم:

وفى حديث البخارى عن سمرة بن جندب قال كان رسول الله ما يكثر أن يقول لأصحابه: (هل رأى أحد منكم رؤيا، وإنه قال لنا ذات غداة: إنه آتانى الليلة آتيان...)، ومما ورد فيه: (فانطلقنا فأتينا على نهر أحمر مثل الدم، وإذا فى النهر رجل سابح يسبح، وإذا على شط النهر رجل عنده حجارة كثيرة، وإذا ذلك الرجل السابح يسبح ما سبح ثم يأتى الذى قد جمع الحجارة فيفغر له فاه فيلقمه حجرًا، فينطلق يسبح ثم يرجع إليه، كلما رجع إليه فغر له فاه، فألقمه حجرًا، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: للاثنين اللذين سارا به: من هذا؟ فقال له: هذا آكل الربا). وفى رواية: وهذا طعامه إلى يوم القيامة فى القبر.

١٧ - ومنها ما هو فى تنور الزناة:

وقال فى حديث الإسراء: وأتينا على شىء مثل التنور، فإذا فيه لغط وأصوات، فاطلعنا فيه

فإذا فيه رجال ونساء عراة، فإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضَوَّضوا، قلت لهما: ما هؤلاء؟ قالوا: هم الزناة والزوانى، إلى غير ذلك.

رابعًا: أحوال أطفال المؤمنين ومقرهم:

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((أولاد المؤمنين فى جبل فى الجنة يكفلهم إبراهيم عليه السلام وسارة حتى يردهم إلى آبائهم يوم القيامة)).

وفى البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى سيدنا إبراهيم فى روضة خضراء فى الجنة وحوله أولاد المؤمنين وأولاد المشركين.

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كل مولود يولد فى الإسلام فهو فى الجنة شبعان ريان يقول: يا رب أورد على أبوى.

وعن خالد بن معدان قال: إن فى الجنة لشجرة يقال لها طوبى كلها ضروع، فمن مات من الصبيان يرضعون رضعًا من طوبى، وحاضنهم إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام.

وعن عبيد بن عمير قال: إن فى الجنة لشجرة لها ضروع كضروع البشر يغذى بها ولدان أهل الجنة.

وعن مكحول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن ذرارى المسلمين أرواحهم فى عصافير خضر فى شجرة فى الجنة يكفلهم إبراهيم عليه السلام أبوهم.

وعن خالد بن معدان قال: فى الجنة شجرة يقال لها طوبى كلها ضروع ترضع صبيان أهل الجنة وإن سِقْط المرأة يكون فى نهر من أنهار الجنة يتقلب فيه حتى تقوم القيامة، فيبعث ابن أربعين سنة.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن أطفال المسلمين فى عصافير الجنة.

وعن هذيل أن أولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحنث، عصافير من عصافير الجنة ترعى وتسرح.

وفى حديث البخارى، لما توفى إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم قال الرسول الكريم: ((إن له مرضعًا فى الجنة)).

والحاصل: أن الجمهور أجمع على أن أرواح أطفال المؤمنين فى الجنة.

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: إن أرواح ولدان المؤمنين فى أجواف عصافير تسرح فى الجنة حيث شاءت.

وروى أحمد فى مسنده والبخارى فى الأدب والإمام مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: يصاغركم دعاميص الجنة يتلقى أحدهم أباه فيأخذ بثوبه فلا ينتهى حتى يدخله الله وأباه الجنة، قال السيوطى: دعاميص أى صغار أهلها، وأصل الدعموص دويبة تكون فى الماء لا تفارقه، أى هذا الصغير فى الجنة لا يفارقها، وهو ما قاله النووى فى شرح مسلم. ومعنى الحديث أنهم سياحون فى الجنة، داخلون فى منازلهم لا يمنعون من موضع منها، قال فى شرح مسلم: وفى هذه الأحاديث دليل على كون أطفال المسلمين فى الجنة. وقد نقل جماعة فيها إجماع المسلمين.

وقال المازرى: أما أولاد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فالإجماع متحقق على أنه فى الجنة، وأما أطفال من سواهم من المسلمين فجماهير العلماء على القطع لهم فى الجنة، ونقل جماعة: الإجماع على كونهم من أهل الجنة قطعا لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ (الطور: ١٢).

وتوقف بعض المتكلمين وأشار إلى أنه لا يقطع لهم كالمكلفين.

خامسًا: أحوال الكفار:

قال كعب: أرواح المؤمنين فى عليين فى السماء السابعة، وأرواح الكفار فى سجين فى الأرض السابعة تحت خد إبليس، وهى متصلة بأجسادها، فتعذب الأرواح وتتألم الأجساد منه كالشمس فى السماء ونورها فى الأرض.

وقالت طائفة: أرواح الكفار ببئر هوت، وقالت أخرى: أرواح المؤمنين عن يمين آدم، وأرواح الكفار عن شماله.

قال بعض العلماء: ولا يتنافى فى ذلك كون أرواح المؤمنين فى عليين فوق السماء السابعة، وأرواح الكفار فى سجين تحت الأرض السابعة.

وقال صلى الله عليه وسلم: إن أرواح الكفار فى حواصل طير سود تأكل من النار وتشرب من النار وتأوى إلى جحر فى النار، يقولون: ربنا لا تلحق بنا إخواننا ولا تؤتنا ما

وعدتنا، وأول الحديث: إن أرواح المؤمنين فى حواصل طير خضر ترعى فى الجنة وتأكل من ثمارها وتشرب من مياهها، وتأوى إلى قناديل من ذهب تحت العرش، يقولون: ربنا ألحق بنا إخواننا وآتنا ما وعدتنا.

وعن هذيل قال: إن أرواح آل فرعون فى أجواف طير سود، وتغدو على النار، فذلك عرضها.

وفى حديث المعراج قال النبى صلى الله عليه وسلم: فإذا أنا بآدم تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول: روح طيبة ونفس طيبة، اجعلوها فى عليين، ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار فيقول: روح خبيثة ونفس خبيثة، اجعلوها فى سجين.

وعن عبد الله بن عمر قال: أرواح الكفار تجتمع ببئر هوت سبخة بحضرموت قال رجل: بت ليلة فى وادى بئر هوت فكأنما حشرت فيه أصوات الناس وهم يقولون: يا دومة! يا دومة! قيل: إن دومة هو الملك الموكل على أرواح الكفار، قال سفيان: وسألنا الحضرميين، فقالوا: لا يستطيع أحد أن يبيت فيه بالليل.

وعن على كرم الله وجهه: خير وادى الناس وادى مكة، وشر وادى الناس وادى الأحقاف، وادٍ بحضرموت وفيه أرواح الكفار، وفى رواية عنه: أبغض بقعة فى الأرض إلى الله وادٍ بحضر موت يقال له بئر هوت فيه أرواح الكفار، وبئر هوت بفتح الباء والراء، هو بئر عميقة بحضرموت لا يستطاع النزول إلى قعرها، ويقال بئرهوت بضم الباء وسكون الراء، يقال إن أرواح الكفار فيها، وهذه البئر هى المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ (الحج: ٤٥).

قال الزمخشرى: روى أن هذه البئر نزل عليها صالح ومعه أربعة آلاف نفر من آمن معه ونجاهم الله من العذاب، وهى بحضرموت. وإنما سميت بذلك لأن صالحا لما حضرها مات، وعند البئر بلدة حاضور بناها قوم صالح وأمروا عليها حلاس بن حليس، وأقاموا بها زمنا ثم كفروا عبدوا صنما، فأرسل الله إليهم حنظلة بن صفوان نبيا، فقتلوه فأهلكهم الله، وعطل بئرهم، وخرب قصرهم.

سادسًا: بعض أحكام الجان:

لا خلاف فى أن كفار الجن فى النار، ولكنهم اختلفوا هل يدخل مؤمنهم الجنة ويثابون على الطاعة؟ وهذا على أقوال أحسنها: نعم! ونسب للجمهور، ومن أدلته قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ (الرحمن: ٤٦) والخطاب هنا للجن والإنس معًا، فامتن به عليهم إذا آمنوا، وقيل: لا يدخلونها وثوابهم النجاة من النار، ونسب هذا القول إلى أبى حنيفة رضى الله عنه. وقيل: يكونون فى الأعراف.

سابعًا: أرواح البهائم والهوام:

أخرج الديلمى عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: آجال البهائم وخشاش الأرض كلها فى التسبيح، فإذا انقضى تسبيحها قبض الله أرواحها وليس إلى ملك الموت من ذلك شىء. قال ابن عطية والقرطبى: ومعنى ذلك أن الله يعدم حياتها بلا مباشرة ملك. وسأل رجل مالك بن أنس عن البراغيث، أملك الموت يقبض أرواحًا؟ فأطرق طويلًا ثم قال: ألها نفس؟ قال: نعم! قال: فإن ملك الموت يقبض أرواحها.

وأخرج جويبر فى تفسيره عن الضحاك عن ابن عباس قال: وُكِّل ملك الموت بقبض أرواح الآدميين، وملك فى الجن، وملك فى الشياطين، وملك فى الطير، والوحوش، والسباع، والحيتان، والنماء، فهم أربعة أملاك، والملائكة يموتون فى الصعقة الأولى، وإن ملك يلى قبض أرواحهم ثم يموت، وأما الشهداء فى البحر فإن الله يلى قبض أرواحهم، لا يلى ذلك إلى ملك موت لكرامتهم عليه حيث ركبوا ثبج البحر فى سبيله، قال بعضهم: جويبر ضعيف، والضحاك عن ابن عباس منقطع، ولكن لآخره شاهد مرفوع، وربما كان الضعيف فى مثل ذلك مقبول.

ثامنًا: الروح بعد الخروج:

وروى عن أبى هريرة أنه إذا مات المؤمن دارت روحه فى داره شهرًا فتنظر إلى ما خلفه من ماله كيف يقسم، وكيف تؤدى ديونه، فإذا ما تم له شهر ردت إلى مقبرته، فتدور بعد ذلك حتى يتم عليها حول فينظر من يدعو له ومن يحزن عليها، فإذا تم الحول رفع روحه إلى حيث تجتمع الأرواح إلى يوم القيامة أى يوم ينفخ فى الصور.

وقال ابن عباس رضى الله عنهما: إذا كان يوم العيد ويوم عاشوراء ويوم الجمعة الأولى من

رجب وليلة النصف من شعبان وليلة القدر وليلة الجمعة، تخرج أرواح الأموات من قبورهم، ويقفون على أبواب بيوتهم ويقولون: ترحموا علينا من هذه الليلة المباركة بصدقة أو اذكرونا بفاتحة الكتاب.

سئل بعض الحكماء عن مكان أرواح الأنبياء بعد الموت فقالوا: إن أرواح الأنبياء عليهم السلام فى جنات عدن، وتكون فى اللحد مؤنسة لأجسادها، والأجساد ساجدة لربها.

* * *